

من هؤلاء المثقفين. ومع ما تحمله هذه الفئة من توجهات ثورية، فإنها، في سماتها العملية، لا تنفصل كثيراً عن السمات الأساسية لثورة البرجوازية الصغيرة. فهؤلاء الشباب، عكسوا، في مواقفهم وتعاملهم مع المرأة في الثورة، ارثاً مترسخاً من مفاهيم الماضي المتخلف، والحاضر الانتقالي بكل تناقضاته، بالإضافة إلى دوافع المصلحة الآنية المباشرة المستترة وراء الجمل الثورية فيما يتعلق بتحرير المرأة. لقد نظر إلى تحرير المرأة بشكل جزئي ووحيد الجانب في كثير من الأحيان. وكثيراً ما يحدث أن كلمة «المرأة» في سياق الحديث عن الحرية، لا تشمل الأم والزوجة والأخت والابنة، وإنما تشمل نساء الآخرين وحدهن. والعديد من الكادر الشبابي اختصر العملية التاريخية لتحرير المرأة بالتحرير الجنسي بمفهومه المجرد والمعزول عن شرط وعي المرأة لذاتها ولقضاياها الاجتماعية. ليصب هذا المفهوم في إطار المصلحة المباشرة لهؤلاء، وذلك بالحفاظ على مكتسباتهم التاريخية المتمثلة في ممارسة العلاقات الحرة والمتعددة مع نساء الآخرين، تحت شعار الحرية. ومن جانب آخر تبقى «قربياتهم» بعيدات عن هذا الوسط «الحرة» يمارسن حياتهن التقليدية في خدمة الرجل ضمن المؤسسة العائلية، بعيدات، في نفس الوقت، عن أية إمكانية لتطوير الذات والخروج بها إلى مواقع الفعل الاجتماعي.

إن التشخيص الوارد آنفاً، حول تعامل هذه الفئة من الكوادر مع قضية تحرير المرأة، يعكس باختصار الدوافع المصلحية وارث المفاهيم المتخلفة والأعراف السائدة. أما الزاوية الثالثة لهذه المسألة، فتكمن في مستوى الوعي الذاتي لدى هؤلاء الكوادر الذين يفصلون، في كثير من الأحيان، بوعي أو بغير وعي، الموقف السياسي المتقدم عن مضمونه الاجتماعي. ولا يصبح للموقف الاجتماعي مضمون ثوري متوافق مع الموقف السياسي المتقدم إلا عندما يتوفر شرط الوعي الذاتي.

نماذج من الواقع

- ازدواجية الموقف: أحد الشباب المثقفين، وهو معروف، باهتمامه بالأدب، وكان قد كتب عن المرأة بترجح ينصفها اجتماعياً. روى لي إحدى الجلسات، وكانت إحدى المناضلات موجودة في الجلسة، قصة مناضلة قررت «الاستقالة» من النضال، والزواج من رجل غير مناضل. لأن المناضلين يريدون التعامل معها كمشيقة لا كزوجة أو رفيقة نضال. وقد دافع الراوي عن موقف الفتاة بقوله: «معها حق». الشخص نفسه، وفي مناسبة أخرى، وبحضور سيدة حسناء تقول حديثاً «كالبشر»، علق متفرباً من هذه السيدة بقوله: «هؤلاء» هن النساء، ولسن مناضلات. المكاتب اللواتي لا نعرف منهن سوى البطلون الجيئز والحديث عن الماركسية». والشباب المذكور يعتبر نفسه ماركسياً، وينتمي إلى تنظيم يفترض أنه ينتهج الماركسية اللينينية رسمياً.

- مفاهيم الحب والزواج: فيما يتعلق بمفاهيم الحب والزواج، يقابل شباب متعلم ومثقف، مثلاً، رفض رقيقة له، بشكل سلبي، معتقداً أنها، برفضها إياه، وجهت أهانة «لكرامته»، دون أن يظن أن الأهانة الأكبر هي ألا يفترض هو بأن لها الأخرى احساس، وأنها حرة أيضاً في أن تختار مثلما امتلك هو حرية الاختيار. وفي حالات